الرواية النسائية في الجزائر بحث في الجذور وقراءة في المتون

Feminist novel in Algeria
a search for the roots and a reading in the texts

المؤلف: سعاد طويل
souad.touil@univ-biskra.dz
المؤلف: نوال أقطي
naouel.agti@univ-biskra.dz
الجامعة: جامعة بسكرة (الجزائر)
مخبر وحدة التكوين والبحث في
نظريات القراءة ومناهجها
كلية الآداب واللغات

تاريخ الإرسال: 2021/05/17	تاريخ القبول: 2021/10/13	تاريخ النشر:2021/11/02

الملخص:

شكل حضور الرواية النسائية في الجزائر زخما ثقافيا أسهم في ثراء المتون الروائية الجزائرية عامة، وجعل الأقلام النقدية تقدم مقاربات لهذه النصوص على اختلافها وتعددها، وهذا برغم حداثة سنها مقارنة بالعربية منها.

وبالتالي يسعى هذا المقال للبحث في جذور الرواية النسائية في الجزائر، وأسباب تأخرها وعوامل ظهورها مع قراءة عامة لهذه المتون الروائية في البناء والموضوع.

كلمات مفتاحية: الرواية النسائية، الأسرة، المجتمع، الموضوع، البناء

Abstract:

The presence of the feminist novel in Algeria represented a cultural momentum that contributed to the richness of the Algerian narrative texts in general, and made the critical pens present approaches to these texts ofalltheir difference and multiplicity, and this despite its young age compared to the Arabic ones, therefore this article seeks to research the roots of the female novel in Algeria, the reasons for its delay and factors of its appearance with a general reading of these fictional texts on construction and theme.

Keywords: Feminist novel, family, society, theme, construction

مقدمة:

يشكل الأدب النسائي صوت تحرر رفعته الأنثى، لإثبات ذاتها في الساحة الإبداعية، لاسيما أنها عرفت الإقصاء والتهميش، وقد أضفى هذا الأدب جوانب من المغايرة والاختلاف داخل المتشابه والاعتيادي، وهدف إلى تأسيس موقع أدبي وثقافي واجتماعي.

وقد كان ظهور هذا الأدب في الجزائر متأخرا مقارنة بمثيله في العالم العربي، وذلك راجع إلى أسباب عدة، تتصل بخصوصية نشأة وتكوين الذات الساردة (المرأة الجزائرية)، لكن ذلك لم يمنع من بروز أقلام أدبية عرفت كيف تفرض نفسها في الساحة العربية وحتى العالمية خاصة خلال سنوات العشرية السوداء.

من هنا تسعى هذه الدراسة إلى تتبع نشأة هذا الأدب في الجزائر، معالجة أسباب التأخر وحوافز التأسيس، مركزة على قراءة المنجز الروائي النسوي من حيث الموضوع والبناء.

نشأة الرواية النسائية الجزائرية:

إن الحديث عن الأدب النسائي في الجزائر يعود بنا إلى الحديث عن صاحبته وهي المرأة، ووضعها الذي ينعكس بصورة مباشرة على أدبها، فالمرأة كانت تعيش حياة بعيدة عن الحياة الاجتماعية العامة والثقافية والسياسية، كما أن الظروف التي كانت تعيشها داخل الأسرة وفي المجتمع كانت تنظر لها بنظرة الدونية، وقد فرضت عليها حصارا وعزلة تامة في ظل التقاليد والعادات، زادها طوق الاحتلال الفرنسي الذي لف البلاد في دائرة التخلف والجهل طالت كل الشعب الجزائري وليس المرأة فقط، و كان (الشيخ عبد الحميد بن باديس هو أول من أولى اهتماما بالمرأة و شؤونها، وفتح أقساما خاصة لتعليم البنات في مدرسة التربية والتعليم بمدينة قسنطينة، وفي كل مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على مستوى التراب الوطني، كدار الحديث بتلمسان، ومدرسة الفلاح بوهران، ومدرسة التربية والتعليم بباتنة، ومدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر العاصمة)[1].

ولكن موت الشيخ عبد الحميد بن باديس أعاق المساعي والجهود في تنوير المرأة، زد على ذلك ظروف الاستعمار واندلاع الحرب العالمية الثانية، والقيود الاجتماعية والضغوطات الأسرية (كانت المرأة أكثر تضررا، وأشد تخلفا، بسبب حرمانها من التعليم ووضعها على هامش الحياة العامة، و بسبب عنترة الرجل، وانحراف فهمه لقواعد الإسلام و قيمه الحقيقية التي حددت بوضوح وظيفة الرجل و المرأة معا، إن أكبر آفة أصابت المرأة العربية عموما و الجزائرية على الخصوص، هو الجهل والأمية اللذان فرضا عليها فرضا، وحصرا وظيفتها في متعة الفراش، والإنجاب والتربية والطهي وأدي ذلك إلى شل وظيفتها التربوية، وتخلفها الفكري والذهني، وإلى تدهور الأسرة، والمجتمع ككل.)[2] .

ومع ذلك كانت المرأة جنبا إلى جنب مع أخيها الرجل، وأثبتت وجودها بفعل نضالها، ولكن بعد الاستقلال عادت إلى وضعها السابق داخل المجتمع. فما أن انتزعت الجزائر استقلالها حتى عادت النساء إلى وضعهن السابق (حيث صار ينظر إليهن تلك النظرة القديمة الاستعلائية، وكأن السنين السبعة لم تكن إلا استثناء للقاعدة و نشازا في مأساة طويلة تبدأ منذ ما قبل الاحتلال الفرنسي لتستمر عبر الزمن)[3].

لقد ظهر الأدب النسائي الجزائري متأخرا إذا ما قورن بمثيله في العالم العربي، حيث نجده متأخرا (وهذا ما يجعلنا نقول إن هذا الأدب وليد الستينات. و بصورة أدق هو من مواليد السبعينات، عدا الرواية التي ظلت غائبة حتى عام 1979 لتطل علينا رواية "من يوميات مدرسة حرة".. وكان هناك مشروع رواية في أدب الراحلة "زليخة السعودي" إلا أن رحيلها حال دون ذلك.) [4].

أول ديوان شعري طبع، كان ديوان "براعم" للشاعرة **مبروكة بوساحة**، عام 1969، إلى جانب ديواني على "مرفأ الأيام" 1972، و" الكتابة في لحظة عري" سنة 1976 **لأحلام مستغانمي**. ثم ديوان "يا أنت من منا يكره الشمس" **لزينب الأعوج.**

أما في القصة، فقد برزت أول مجموعة قصصية للمناضلة **زهور ونيسي** " الرصيف النائم سنة 1967. ثم مجموعتها الثانية "على الشاطئ

الآخر" سنة 1974 التي كان لموضوع الثورة الوجه البارز فيها، وهي السمة التي طبعت كل أعمالها وحتى الروائية منها. إلى جانب **زليخة السعودي** التي يمثل نتاجها القصصي(مرحلة متطورة في القصة العربية المعاصرة في الجزائر، و خاصة إذا علمنا أن "زليخة" عرفت طريق النشر منذ بداية الستينات، أي إنها عرفت الكتابة قبل الاستقلال أو معه.)[5]، إذ (لم تكن في قصصها ناشئة، و لم تكن مدّعية أو مقلّدة، ولا غرو في القول إنها ولدت قاصة، ورحلت قاصة دون أن يشير إلى قصصها أحد إلا بكلمات قليلة، ولعل مجلة آمال قد انتبهت إليها، وأقّرت منذ عهدها الأول معترفة بموهبته "زليخة" القصصية و قدرتها على الإبداع)[6]. وذلك إثر تقديمها لقصتها " من البطل سنة 1969.

ومن أبرز الأصوات التي تكتب القصة أيضا جميلة زنير التي نشرت سنة 1972 قصتها الأولى بعنوان " لن يطلع القمر"، ثم "حب في القرية الوديعة " سنة 1977.

لم تكن الأسماء التي تكتب الرواية -على قلتها- معروفة بالمستوى الذي يجعلها حاضرة وبفعالية قبل العشرية السوداء، باستثناء اللواتي كن خارج الجزائر" أحلام مستغانمي ثم فضيلة الفاروق بالعربية وأسيا جبار بالفرنسية.

إن هول ما حصل في الجزائر بفعل عمليات القتل الواسعة النطاق التي طالت فئات الشعب الجزائري لا سيما سكان القرى و المداشر، و رجال الأمن و المثقفين، كان مادة دسمة لكثير من المبدعات، اللواتي لم يقفن مكتوفات الأيدي إزاء ما يحصل للجزائر، فقد حاولت الغوص إلى عمق الأزمة، وإدانة فعل القتل بكل الطرق من قبل الإرهاب والسلطة أيضا.

هذه الأزمة فجرت أصوات روائية شابة، برزت ناقدة وبشدة الوضع المأساوي، وشيئا فشيئا ملأت أسماؤها صفحات الجرائد و المجلات، ودور النشر بأعمال أدبية عدة، وأصبحت ظاهرة شدت إليها الانتباه و أثارت الأسئلة و استدعت التأمل. وقد ظهرت ناقدة وجريئة في تناول مواضيع عدة. تكتب عن هاجس الذات والمجتمع والوطن والمثقف والإنسانية والعدالة، تتنوع أسئلتها وتختلف، تحاول في إصرار إثبات رؤاها وفرض خياراتها، تراهن في تجاربها على نصوص روائية واعدة.

و لعلّنا نذكر في هذا الباب بعض الأقلام التي أضحت تسجّل حضورَها بقوة على نحو: رشيدة خوارزم، وربيعة مراح، وخديجة نمري، وفاطمة العقون، و سميرة قبلي، وياسمينة صالح، وزهرة ديك، وشهرزاد زاغز، وعبير شهرزاد، وحسيبة موساوي، وسارة حيدر، و عايدة خلدون، وفضيلة فاروق، وغيرها من الأسماء.

أسباب تأخر الأدب النسائي الجزائري:

من أبرز الأسباب التي أعاقت الأدب النسائي وغيبت أسماء كثيرة وصرفت عديدا من الساردات عن الكتابة الروائية موضوع البحث الآتي:

– سلطة العادات والتقاليد و القيم الموروثة التي تحُد من حضور المرأة و بروزها، كما تنظر لها بمعيار يخالف معيار الرجل..

– تأخر نمو الذات الفردية والوعي الثقافي و الفكري، أمر لم يكن يسمح للمرأة بممارسة الكتابة.

– النظرة الهامشية لأدب المرأة و خضوعه لقيم و أعراف المجتمع في الغالب أكثر من خضوعه للقيم الإبداعية.

– عزوف بعض الكاتبات عن الكتابة خوفا من الانتقاد، نتيجة اتهام إبداع المرأة بالدونية، وانشغاله بهموم المرأة و مشاكلها، أمر جعل بعضهن يعشن مخاوف شتى.

– هيمنة الأدب الذكوري على الأقل لفترة من الفترات، جعل أدب المرأة يغيب بغض النظر عن قلة الأقلام الإبداعية.

– انعدام الوقت الكافي للكتابة بسبب انشغالهن بمتطلبات الحياة الزوجية، و توجههن لتربية الأبناء، و بذلك قد(اخترن السلامة و التكيف بدل المغامرة)[7]، حيث (تصالحت أكثر الكاتبات مع العقم الروحي و الفكري و الفني بالزواج و بالإخصاب البيولوجي)[8]، مثلا توقف ربيعة مراح عن الكتابة الروائية بعد الزواج، إلى جانب شهرزاد زاغز، حسيبة موساوي عايدة خلدون اللواتي اكتفين بنص روائي واحد.

– عبء الوظيفة و ساعات العمل اليومي قد أعاق استمرارية الكتابة عند أغلبيتهن مثل: شهرزاد زاغز التي ألهتها أبحاثها الأكاديمية

والتدريس في الجامعة (بسكرة) من مواصلة كتابة الرواية، لها نص روائي واحد لا غير "بيت من جماجم". حسيبة موساوي تدير دار نشر خاصة بها بولاية سطيف. إنعام بيوض مديرة المعهد العربي للترجمة بالجزائر العاصمة، ربيعة مراح تعمل بدار الثقافة ببلدية لعوينات بولاية تبسة، و ربما ركود الساحة الثقافية بولاية تبسة مقارنة بولاية عنابة التي كانت تدرس بها، يسهم بشكل أو بآخر في غيابها، الأمر الذي قد يؤدي إلى الاختفاء الكامل. وأمام هذه العوائق الخاصة لا تلبث الغالبية أن تتوقف بعد أن تخبو الرغبة و تهوى أمام الظروف.

– قلة الاهتمام الإعلامي و عدم الاحتفاء بأسماء واعدة، كما أن الدراسات النقدية و لا سيما الأكاديمية منها قليلة جدا .

– ضعف حركة النشر مقارنة ببلدان عربية أخرى، فالساحة الأدبية في الجزائر شهدت غياب دور النشر العمومية، و حتى الخاصة فهي محتشمة، و إن وجدت فالمبدع الناشئ يقف عاجزا أمام المبالغ المالية التي تطلبها دور النشر لطبع عمله الأدبي.

2.2. - أسباب مساعدة على بروز الأدب النسائي الجزائري:

– تحسن وضع المرأة و النهوض بتحريرها بفتح مجال التعليم و العمل أمامها و خروجها بذلك من فضاء البيت المغلق عن كل شيء إلى الحياة العامة، حيث أصبحت تزاحم الرجل في ميادين شتى ثقافية و فكرية و اجتماعية و سياسية، و من شأن ذلك تعزيز دورها وحضورها بفعالية.

– تطور المجتمع و نمو الوعي لديه، ما أدى إلى كسر بعض التقاليد و الأعراف الاجتماعية وتلاشيها من المنظومة الجمعية، و ذلك ما سمح بتحسين أوضاع المرأة وتغيير النظرة السابقة عنها.

– كما أسهم انتشار دور النشر، مقارنة بما كانت عليه في بروز الرواية بشكل خاص مثل منشورات الاختلاف، والتي نشرت بعض النصوص الروائية مثل: في الجبة لا أحد لزهرة ديك، مفترق العصور لعبير شهرزاد، السمك لا يبالي لإنعام بيوض، وطن من زجاج وبحر الصمت لياسمينة صالح. زنادقة، و شهقة الفرس، و لعاب المحبرة لسارة حيدر، ومنشورات التبيين/

الجاحظية من بين الروايات التي قامت بنشرها: رواية بيت من جماجم لشهرزاد زاغز، و بين فكي وطن لزهرة ديك.

– إلى جانب دور المسابقات و الجوائز الممنوحة لتشجيع المواهب المبدعة و دعمها وإعطائها فرصا لبروز نصوصها مثل: جائزة "**مالك حداد**" للرواية المكتوبة بالعربية والتي تنظمها "منشورات الاختلاف" برعاية الروائية أحلام مستغانمي، و التي تهدف إلى تشجيع النصوص الأدبية بنشرها خدمة للمواهب الإبداعية و خاصة الشباب الذين تمنحهم ثقة بنصوصهم، و من الأسماء التي فازت بها ياسمينة صالح عن روايتها بحر الصمت. وإنعام بيوض عن رواية السمك لا يبالي .

– إلى جانب جائزة "**علي معاشي**" للمبدعين الشباب برعاية وزارة الثقافة، من بين الأسماء النسائية التي فازت هاجر قويدري التي افتكت المرتبة الأولى سنة 2009 مناصفة مع أمينة الشيخ من الجزائر، في حين عادت المرتبة الثانية لإيميليا فريحة من الجلفة مناصفة مع إسماعيل برير، أما المرتبة الثالثة فعادت لعائشة نمري من الجزائر مناصفة مع "العيد بالح" من الجلفة.

كما فازت هاجر قويدري مرة أخرى سنة 2011 عن روايتها " **أدعى أوزنجو**"، والشابة لويزة جبالي بالمرتبة الثالثة.

وفي سنة 2012 عادت الجائزة الثانية لنوال جبالي من قسنطينة عن روايتها " فانتازيا على فخذ الشيطان".

– جائزة "أبوليوس" لأول رواية عن المكتبة الوطنية الجزائرية لعام 2004 عادت لرواية زنادقة" لسارة حيدر وهي الرواية الأولى لها.

– إلى جانب جائزة "الهاشمي سعيداني" التي ترعاها جمعية الجاحظية. و أيضا جائزة الروائي عبد الحميد بن هدوقة.

– جائزة **الطيب صالح للإبداع الروائي** بالسودان و التي عاد الفوز فيها في دورتها الثانية للجزائرية "هاجر قويدري" عن روايتها "**نورس باشا**"، والتي يأخذ المحكي الروائي فيها الفترة العثمانية ما بين 1800– 1804 فضاء للسرد و هي رواية غرائبية.

– كما فازت رواية اعترافات امرأة لعائشة بنور بجائزة الاستحقاق (جوائز ناجي نعمان الأدبية) بلبنان عام 2007.

لقد ظهرت الرواية النسائية الجزائرية في ظل الأزمة الوطنية، ولم يتبلور حضورها بفعالية إلا في التسعينيات و بالتحديد في نهاية التسعينيات، حيث بدأت تظهر محاولات لروائيات جدد، لم تركز أغلبية النصوص على قضايا المرأة مثلما تناولت الوطن باعتبار الروائيات كن شاهدات على فترة دموية حرجة، الأمر الثاني أن المجتمع الجزائر لا يزال محافظا في أغلبه، فلا تجرؤ المرأة على التطرق لمواضيع حساسة تُعد من الطابوهات.

وقد أصبحت هذه الأعمال الروائية تحتل مكانة لا يستهان بها داخل المشهد الثقافي الجزائري و العربي عامة كما لا تزال صاحباتها يثبتن حضورهن و بفعالية في الخطاب الروائي، و لم تعد المرأة خلالها موضوعا منظورا إليه، بل خرجت من دائرة المغلق والصمت والاستهلاك، إلى الخارج والفعال و المنتج، بفعل خطابها الروائي الذي حقق للمرأة المبدعة حضورها ذاتا حقيقية وفاعلة.

قراءة عامة للمنجز الروائي النسائي الجزائري:

– قراءة في الموضوع:

أغلب الروايات التي قمنا بدراستها، كانت تدور حول موضوع الوطن و المرأة، وإن كنا قد تطرقنا لموضوع الوطن بإسهاب نوعا ما في الفصل الثاني حول موضوعات الرواية النسائية الجزائرية، والموضوع الثاني "المرأة" في الفصل الثالث حول خصائص الرواية النسائية الجزائرية تحت عنصر "البوح الأنثوي"، فإننا نحاول ذكر أبرز من كتبن في الموضوعين .

– **الوطن**: أغلبها روايات تولدت من رحم المحنة الوطنية و شهدت على فترة أليمة عاشتها الجزائر وعانى الشعب فيها الويلات، هي كتابات وقعت تحت تأثير المرحلة الزمنية التي مرت بها الجزائر، ولا شك أن صاحباتها كتبن بانفعال و تأثر كبيرين، و من بين الأسماء ياسمينة صالح في "وطن من زجاج" و"لخضر"، زهرة ديك في "بين فكي وطن" و"في الجبة لا أحد"، سميرة هوارة في "الشمس في علبة"، سميرة قبلي في "بعد أن صمت

الرصاص..."، شهرزاد زاغز في "بيت من جماجم"، فضيلة الفاروق في "تاء الخجل".

هي روايات لم تخرج عن دائرة العنف التي عاشتها الجزائر خلال العشرية السوداء، حيث اتخذتها مادة حكائية تأثثت النصوص الروائية بها، وغاصت في أحداثها بشخصيات عايشت الأحداث بكل حيثياتها و بعنف المرحلة و دمويتها.

إلى جانب المرحلة الدموية التي تحكي عن الوطن، كانت روايات أحلام مستغانمي إضافة إلى رواية" مفترق العصور" لعبير شهرزاد روايات تحفر في أسئلة الوطن والتاريخ وتلامس قضايا و إشكالات لا تزال تصاغ بأسئلة المسكوت عنه، والمثار للجد والطابوهات، عبر كشف زيف بعض الشعارات وتعرية المقدسات واستنطاقها للتطرق لانحرافات بعض الأسماء التاريخية الثورية والسياسية. إنها تستجوب الماضي وتدينه، وتستنطق الحاضر برؤية نقدية عبر شخصيات ورقية تتكلم بحرية وتحلل أحداثا وتعرض مواقف بكل موضوعية بعيدا عن الذاتية، وذلك من منطلق أن الرواية أصبحت خطابا قادرا على احتواء الأسئلة المحرجة و القلقة وترفض الخطابات السياسية الزائفة.

- **المرأة:** نلمس في هذه الكتابات انفتاح النصوص على الداخل ومحاولة ملامسة انشغال المرأة ومعاناتها داخل المجتمع ووعيها بذلك، في قوالب جاهزة ومعدة مسبقا، وذلك بغية تجاوز واقعها والتخلص من همومها للتوجه إلى ما وراء الذات، حتى لا تبقى منغلقة في حلقة مفرغة من الحضور الفعلي، و أبرز من كتبت في هذا الموضوع "**فضيلة الفاروق**" التي تلح على أن تتكلم المرأة بلسانها وحدها بدون واسطة، فنلمس في رواياتها التطلع إلى الخلاص والانعتاق والانطلاق والتحرر من الكبت و قيود الماضي، لم تترك الكاتبة قضية من القضايا التي تمس المرأة حتى ولو كانت تافهة و عابرة إلا وتطرقت لها فكان الحب، والاغتصاب والعذرية، والزواج، وإنجاب البنات، والتعليم، والحجاب، والطلاق، والعلاقات الزوجية، وتهميش المرأة موضوعا للكتابة، تمكنت عبره من مساءلة العوالم الدفينة والحفر في مكنونات الذات الأنثوية، فاضحة لكل صور زيف المجتمع .

الكتابة عند فضيلة هي "استجابة لنداء الحضور" الذي تمارسه الذات الأنثوية المتمردة على صاحبتها في مواجهة الرجل سبب أزمتها، إنها تخوض مشروع الثورة والتمرد من أجل التغيير.

كما تعكس في أعمالها توق الجسد الأنثوي إلى اللذة و الجنس ومن خلاله تعري سلطة الرجل. أيا كان.

و بلغة بسيطة سلسة هادئة، تقدم ربيعة مراح في روايتي "النغم الشارد" و "الشاذ" الأنثى بمشاعر تتوق للحب والاستقرار والتخلص من المعاناة، تسير ببطلتيها عبر أحداث متسلسلة محبكة وبحميمية في السرد يتوق القارئ لمعرفة نهايتها، ترى في الطرف الآخر الأمن و الأمان وهدوء النفس ورحابتها، كما هي زهرة مبارك في" لن نبيع العمر"، و كلها نهايات لا تحقق المرأة فيها أحلامها.

"أصابع الاتهام" رواية أخرى تحكي ظروف المرأة القاهرة، نص في حكيه بذور فنائه، غياب الشخصية و غياب عنصر التشويق والحبكة، عمل لا تزال أطواره تنتظر أفق البعد الفني.

في أحيان كثيرة نجد داخل مثل هذه الروايات اجترارا مستمرا لمواضيع المرأة الضحية التي أصبحت مواضيع مستهلكة، تشعر القارئ بالملل والرتابة في طرحها، أغلب هذه الروايات تبرز انغلاق الذات فهي تنفتح في الكتابة على الداخل المغلق الذي يمنحها إضاءة المظلم و التحرر من القيود، بالتعبير والبوح عن ذاتها و ما تكابده، هو عالمها الخاص الذي تمارس حريتها عبره دون قيد ولا رقابة، كما لا ترى الخارج إلا من خلال الداخل، في حلقة دائرية تبدأ من الذات و تنتهي إليها، إنها نصوص مفتوحة على الداخل تكرس هواجس الحضور الأنثوي.

كما نلمس حضور جانب من **السيرة الذاتية** لدى الروائيات، حيث تقوم بعض الروائيات باسترجاع جزء مهم من حياتهن من خلال الجمع بين السيرة الذاتية والتخييل الروائي، و هذا ما فعلته فتيحة أحمد بوروينة في "الهجالة"، لتعطي نصها بعده الاجتماعي والنفسي، من خلال الآثار المترتبة عن وضع المرأة الأرملة، وضع يُهمش المرأة و يُحقرها، وقد انتقدت من خلال روايتها الوضع المغلق الذي يجبر المرأة على العيش داخله.

كما سعت الروائية "إنعام بيوض" في الجمع بين الكتابة و التعبير عن الذات في "السمك لا يبالي"، فالبطلة نور نشعر بأنها الروائية ذاتها، فهي من أب جزائري و أم سورية، قضت طفولتها بسوريا ثم انتقلت عائلتها إلى الجزائر.

وموضوع التطرق للسيرة الذاتية في الرواية تشي به بعض العناوين القريبة من الاعترافات مثل: "من يوميات مدرسة حرة" لزهور ونيسي، وكأنها تحكي عن تجربتها وهي المُدَرسة والمجاهدة إبان الاحتلال الفرنسي، أيضا "اعترافات امرأة من برج الميزان " لياسمينة صالح، و"اعترافات امرأة" لعائشة بنور.

أيضا كثير من المقربين للروائية **ربيعة مراح** يؤكدون كما أخبرتنا بذلك على التعالق الكبير بين أعمالها وحياة المقربين منها، حتى أن الروائية نفسها تطلعنا أن شخصية سلفادور الايطالي في "النغم الشارد" شخصية حقيقية و قد جمعتهما علاقة في واقع الحياة[9].

وتمتزج داخل هذه الروايات هموم الذات بهموم الوطن فأغلب الشخصيات وجدت في الحب الملاذ و الهروب من الوضع المتردي مثل رواية وطن من زجاج، في الجبة لا أحد، الشمس في علبة، بعد أن صمت الرصاص...

2.3. قراءة في البناء:

من خلال قراءة عامة لهذه الروايات مجتمعة يمكننا ملاحظة التفاوت الواضح بين مستوياتها التعبيرية، كما يبدو التمايز بين أساليبها الفنية جلي الوضوح، و عليه قسمنا الروايات إلى ثلاثة مستويات:

- **المستوى الأول:** لا تخرج الروايات في المستوى الأول عن الكتابة الكلاسيكية والمتذبذبة أحيانا برؤى فنية ضيقة و محدودة الأفق في جميع آلياتها السردية من (شخصيات، زمن، مكان، حدث...) أبرزها رواية "من يوميات مدرسة حرة" و "لونجة والغول" لزهور ونيسي،رغم أنها حاولت الخروج عن طابعها السردي ذلك في روايتها" جسر للبوح و آخر للحنين" ، لكنها أعادت اجترار تيمة الثورة التي لا تريد الخروج عنها مطلقا و لكن ليس

كالسابق إذ لم تكن شغلها الشاغل على الأقل في الظاهر، إذ قدمت الرواية بطرح جديد يساير التطور الحاصل في الرواية الكتابة الجديدة، إلى جانب رواية "أصابع الاتهام" لجميلة زنير، حظرت بأسلوب غير مقنع، و إيقاع رتيب، إلى جانب غياب العناصر السردية و عدم فاعليتها، و توظيفها بما يخدم الرواية و يستنهض الأحداث فيها، إلى جانب "فراش من قتاد" لعتيقة سماتي..

- **المستوى الثاني**: يجمع بين الرواية الكلاسيكية بكل بنيتها السردية التي تحسن استخدام عناصرها و لكن ببساطة يغيب التشويق في بعضها، مع توظيف بعض الجوانب الحداثية في الرواية الجديدة لدى بعض الروايات، لكن دون خرق الأسس البنائية للرواية التقليدية، تمثلهم روايات ياسمينة صالح، ربيعة مراح، إنعام بيوض، حسيبة موساوي، فضيلة الفاروق، سميرة هوارة، ورواية "جسر للبوح و آخر للحنين" لزهور ونيسي التي يحضر فيها عنصر التشويق، والجدة في الطرح عن وعي إبداعي حيث الأسلوب المتزن والسلس، والأحداث الدرامية المشوقة، وأيضا رواية مفترق العصور حيث تختار الروائية مجموعة من المواضيع والقضايا الذاتية والوطنية والقومية، كتلك المرتبطة بأبناء الحركى وملابسات العلاقات الجزائرية، وسياسة الاغتيالات بعد الاستقلال، مواضيع تتخذها أداة معرفية لتشكيل نصها، وغدت ذات أهمية كبرى لتأسيس العمل حيث تمضي بلغة فنية أنيقة وحيوية في جذب القارئ، و القول: بأنها أول رواية للكاتبة أمر يلفت النظر لتجربتها ولمقدرتها الإبداعية في صوغ نص كهذا، فهي تستحق فعلا التشجيع ونيل جائزة مالك حداد.

- **المستوى الثالث:** يتجلى في الروايات التي تعتمد على خلخلة نظام الأبنية التقليدية، ومجارات الجديد والحداثي الذي يستند إلى الغموض والتجريد واللغة الشعرية القائمة على المجاز، والغوص في أعماق الشخصية، والتشيئ والأنسنة، وهي روايات لا تستجيب لعنصر واحد، تخلخل أفق توقع القارئ وتثير قلقه وتربكه، الأمر الذي يجذب ويستميل ذوق المتلقي المعاصر، ويجعله يشارك في إنتاج الدلالة و صنعها، ونراها في شق تهدف إلى التأثير في القارئ لتغطية اللامنطق وعدم الترابط، وهي الروايات التي

تساير العصر بأزماته وسرعته وصراعاته وفوضويته ومناخه الموبوء حيرة وإحباطا وقلقا.

و أبرز الروائيات في هذا المستوى: **أحلام مستغانمي** بعناوينها المجازية(ذاكرة والجسد، فوضى الحواس، عابر سرير) القائمة على المواربة و المخاتلة، و بلغتها الشعرية الكثيفة التي تشكل تركيبا لغويا ينضح بقيمة بلاغية عالية المستوى، القائمة على الصور والرموز والإيقاع أداة فاعلة لبناء الرواية، تنم عن وعي فني جمالي بهذا الحيز النصي، روايات أحلام مستغانمي افتكت موقعا متميزا، ليس لأحداثها الروائية فهي تعيد نفسها في الروايات الثلاث، بل للغتها الشعرية الراقية التي أخذت بحق البطولة في الرواية و لذلك الزخم الثقافي الهائل، ليس في كمه و لكن في حسن توظيفه مع الحدث، روايات أحلام ستبقى خالدة لا لشيء سوى لأنها تقدم خلاصة تجارب، إنها لا تقدم رواية بل تقدم الحياة بسلبياتها وايجابياتها وبلغة ذات كثافة عالية استطاعت الاستحواذ على اهتمام القارئ.

و أبرز من تمثل هذا المستوى من الأسماء الجديدة التي تتراوح بين الوعي بالتجديد وبين الغوص في الغموض لعدم نضج تجارب بعضهن في الأصل لأنها تجارب جديدة:

عايدة خلدون في رواية "وحده يعلم"، إنها رواية تخلق قلق القراءة و متعة اللذة حد الاستفزاز، الأمر الذي يحفز المتلقي على القراءة، بل يلح عليها لدرجة تجعل القارئ يشارك في إنتاج الدلالة، و من ثمة يتحقق أفق الانتظار والرغبة. وكل العناصر في هذا النص لا تأتي محايدة، بل متحرّشة مشحونة بحمولتها الدلالية حدّ الانفجار، فتتحول اللغة و شبكة العلاقات المتصلة بها من استعمالها العادي و الحيادي إلى المستفز و المستولي على مسار المحكي الروائي وفق المدارات المعتمدة من لعبة التخييل، و التخفي خلف الأقنعة والرموز يتداخل فيها فضاء القتل و العنف بفضاء الحب والشوق، و يمشي حثيثا يتسلل داخل خلجات البطلة سطورة و يتمشهد في جو جنائزي مهيب، يتأثث على الصراخ المكبوت للخيبة و الحزن، وعلى غمغمات للعشق وللرغبة و الوصل تدب مبحوحة تأبى الخروج.

سارة حيدر: تبرز هذه الروائية الشابة و الناشئة منذ مدة قصيرة ببراعة لغوية، و بوعي التجربة الروائية المتعددة المرجعيات، بروز لا ينكره أحد، تكتب اللغة نفسها ـفي عمل شهقة الفرس، و لا تحيل إلا على ذاتها، و تنقش صورتها على صفحات رواياتها، بين فعل الكتابة و إرادة الذات للحضور، لتبرز وجود المرأة فاعلة و بمقدرتها على استنطاق المحظور وإعادة تشكيل سياق النص على فضاء لغوي مستمد من الجسد و رغباته، و صياغته ـفي قوالب دلالية متفرقة، يحضر الجسد فيها محملا بأيقونات إشارية متوهجة مشحونة بطاقة توتر عالية، تمارس فيها لعبة الخفاء و التجلي لإعادة صياغة النص وحمله دلالات إضافية مدركة بوعي تام أن حضور النص لا ينبثق إلا من خلال التحرر للنفاذ ـفي عمق النص الإبداعي.

تعتني الروائية الشابة بتشكيل نصها الروائي كاعتناء الأنثى بجسدها، حيث تمتزج اللغة بالكتابة و تتفاعل مع الجسد لحمل دلالة إضافية قائمة على الخرق و التجاوز والانزياح.

كما تماثل هذه الأسماء "**زهرة ديك**" لا سيما ـفي روايتها" ـفي الجبة لا أحد" و "قليل من العيب يكفي"، إلى جانب "**عائشة بنور**" ـفي روايتها "اعترافات امرأة" باتجاههن نحو داخل الشخصيات للنفاذ فيها حيث كانت هذه النصوص مفتوحة على عوالم نفسية تحاور الذات أولا.

نرى ـفي مجموعة من الروائيات خاصة **زهرة ديك، عبير شهرزاد، سارة حيدر، عائشة بنور، عايدة خلدون، ياسمينة صالح، هاجر قويدري**، إلى جانب أحلام مستغانمي و فضيلة الفاروق، فئة تحمل بصمات خاصة تطمح إلى صياغة كتابة مختلفة و جريئة، تعبر عن تجربة جمالية متنوعة وثرية.

خاتمة :

ـ إن الأدب النسائي ـفي الجزائر ظاهرة طبيعية فرضتها ظروف موضوعية كتحسن ظروف المرأة من تعلم وعمل ..بدرجة أولى، وليس رغبة في الخروج عن المألوف والتمرد على المجتمع والثورة على عاداته وتقاليده، ولا تتعلق أبدا بنضال ذي نزعة نسوية أو أيديولوجية ما ذات طابع جنساوي.

ـ الخطاب الروائي النسائي الجزائري عموما ليس خطابا موجها ضد الرجل، وإن كانت الروائيات كتبن عن المرأة فهن لا يدينن الرجل علنا، بل يحللن واقع المرأة من جوانب متعددة.

ـ إن التجربة الروائية النسائية الجزائرية، برغم تأخرها مقارنة بالتجربة العربية عامة، وبرغم السلبيات التي لا يخلو منها أي نص أدبي متميز، وبرغم هذه التصنيفات أيضا، فإنها تجربة أتاحت للمرأة الحضور والإعلان عن ذاتها المبدعة، وقد حققت مكانة ضمن المنجز الروائي العربي، فهي تجربة تستحق وقفة طويلة ومتأنية، فيها نماذج ناضجة وثرية، وأخرى ناشئة و واعدة تستحق التشجيع والأخذ بيدها لبلوغ المبتغى.

ـ تتفاوت التجارب الروائية النسائية ـفي مستوياتها التعبيرية وأساليبها الفنية من كلاسيكية بإيقاع رتيب إلى حداثية متجاوزة للأبنية النمطية مستندة إلى أبجديات الغموض واللغة الشعرية والأنسنة.

الهوامش والإحالات:

1 – يحيى بوعزيز : المرأة الجزائرية و حركة الإصلاح النسوية العربية، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة، الجزائر، دط، 2001، ص 4.
2 – يحيى بوعزيز : المرأة الجزائرية و حركة الإصلاح النسوية العربية، ص 23.
3 – صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط 1، 2003، ص 31.
4 – أحمد دوغان: الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، دط ، 1982، ، ص 8.
5 – أحمد دوغان: الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، ص 30.
6 – المرجع نفسه، ص 29.
7 – حفناوي بعلي: مسارات النقد و مدارات ما بعد الحداثة، ص 187.
8 – حفناوي بعلي: مسارات النقد و مدارات ما بعد الحداثة، ص 187.
9 – حديث مع الروائية بتاريخ 19 فيفري 2012.